دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، صيف ۱۳۹۸، العدد الثانی والأربعون: صص ۲۹- ۴۸

دراسة الشخصيات القومية فی رواية «مدن الملح» لعبد الرحمن المنيف

روح الله صيادی نژاد*

سعيده حسن شاهی**

تاريخ الوصول: ۹۷/۱۲/۱

تاريخ القبول: ۹۸/۲/۸

الملخص

الرواية فن حديث فی الأدب العربی ولم تمتدّ جذورها أكثر من قرن؛ لكنها رغم حداثتها تنمو بسرعة وإزدهار بأيدی الرواة العربية. يعّد *عبدالرحمن منيف* من شخصيات أرسخ جذور الرّواية فی الأدب العربی لاسيّما بأثره خماسية «مدن الملح». يحاول الباحثان فی هذه الورقة البحثيّة باتباع المنهج الوصفی- التحليلی دراسة شخصيات الجزء الأول من خماسية «مدن الملح»(التيه) معتمدة على الملامح القومية قبل دخول الأميركان وبعده؛ كما يقوم هذا البحث على دراسة الشخصيات المحورية، دلالة الأسماء، توظيف الرموز ووصف الشخصيات. تستهدف المقالة إلى كشف خفايا شخصيات الرواية وتبيّن أسلوب الكاتب المميّز فی خلق هذه الشخصيات وهكذا يستنبط أنّ طرق الكاتب تختلف تماماً عمّا هو الحال فی تقديم الشخصيات فی الروايات العربية اذ إنه يحاول تسليط الضوء على القضايا القومية فی أسلوبٍ يتميّز بجودة الوصف و دقة البناء.

الكلمات الدليلية: الرواية، الشخصية، عبدالرحمن منيف، مدن الملح.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان. saiiadi57@gmail.com

** طالبة الدكتوراه فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان.

الكاتب المسؤول: روح الله صيادی نژاد

المقدمة

كثيراًما تنتشر الروايات وتحلل عند النقاد وبعد مرّ السنين لم يبق منه أثرٌ فی الـذاكرة إلا الشخصيات، كما أنّ النقاد بدورهم أقرّوا إلى هذه الحقيقة وأكّدوا أنّ بنيـة الشخصـيات أهم العناصر فی البناء الفنی للرّواية؛ على سبيل المثال: ترى *فيرجينيا وولف* أنّ الرّوايـة لا تخلق إلا لعرض الشخصيات(ميريام، ۱۳۶۸: ۳-۵). بيد أنّ القصص القصيرة والأقصوصـة لا يفسحان المجال أمام الكاتب أن يخلق الشخصيات الخالـدة. إنّ جـذور تحليـل الشخصـية تمتدّ إلى قبل ۴۰۰ سنة فی الغرب ولقد بلغ ذروتَـه بظهـور المكتـب النّفسی(رضـوانيان، ۱۳۸۹: ۵۸) غير أنّ اهتمام كتّاب العرب بالرواية لم يتجاوز أكثر من قرن. نظراً إلى اهتمام العرب بالرواية وتحليل شخصياتها اختارت هذه المقالة رواية خماسية «مدن الملح»، إذ إنّ ما يميّز هذه الرّواية من بين عشرات الروايات، أسلوب الكاتب الخاص فی خلـق شخصـياته وهو أسلوب يرنو الكاتب وراءه الوصول إلى مقاصده القوميـة، العربيـة والسّياسـيّة والكاتـب لوصول إلى غاياته لا يكتفی بسرد الشخصيّات الفرديّة وتعيين مصيرهم.

أما بالنسبة إلى خلفية البحث فهناک الأدباء والنقاد أقبلوا علـى هـذه الرّوايـة فمهّـدوا أرضية مناسبة بدراساتهم للبحث فی هذا المجال، على سبيل المثال: «مباهج الحرّية فـی الرّواية العربية»(النابلسی، ۱۹۹۲) وكتـاب «التقنيـات السـردية فـی روايـات عبـدالرحمن منيف»(عبد الحميد المحادين، ۲۰۰۵) الذی يـنعكس النظريـات النّقديـة السـرديّة التـی تظهر بشكل مختلف فی الروايات العربية لاسيّما روايات *عبدالرحمن منيف*؛ وأيضـا كتـاب «السعودية وبدعة تاريخ البديل»(نصرالله، الياس، ۲۰۱۰) الذی يقدم قراءة مغايرة، منهجية وتأسيسية فی آن، لخماسية «مدن الملح» التی ما زالـت تعتبـر وكتـاب «الروايـة العربيـة البناء والرؤيا» الذی يتناول الدراسات البنيوية حول الرواية(سمر روحی، ۲۰۰۳) لكن هـذه الدراسات رغم فوائده الكثيرة، أغفلت عن بنية الشخصيات ودقائقهـا وأهـداف الكاتـب مـن وراء الأثر.

أثار *عبدالرحمن منيف* فی خماسية «مدن الملح»- لعظيم خطره فی فحواها- اهتمـام النقاد والسياسيين وهو أفضل رواية فی العالم العربـی فـی تصـوير قوميـة العـرب نشـأتها وتطورها فی أخطر حصّة التاريخ وهی حصة عثر العرب على النفط فحولت حياتـه تحـويلاً عظيما. تتناول الرواية كل هذه التغييرات التی طرأت على العالم العربی. بعـد العثـور علـى

النفط، تغییرات غفلت منها عیون العرب قبل *عبدالرحمن منیف* رغم مـزج حیـاتهم بهـذا الواقع التاریخی فالروایة کما یری الکثیر من النقاد وثیقـة تاریخیـة لحیـاة العـرب، یقـول *إلیاس نصرالله* فی کتاب «السعودیة وبدعـة التـاریخ البـدیل»: «إنّ الخماسـیة هـی روایـة للتاریخ الحدیث للمملکـة فـی القـرن العشـرین تبـدأ مـن حکـم *الملـک عبـدالعزیز بـن عبدالرحمن بن سعود* فی سنة ۱۹۰۲ حتی اغتیال نجله *الملک فیصل بن عبـدالعزیز* فـی الریاض»(نصرالله، ۲۰۱۰: ۳۴).

قراءة هذه الوثیقة التاریخیة یقف القارئ أمام هذا السؤال: ما هی الأسباب التی جعلـت الروایة رغم موضوعها التاریخی ناجحاً.

بنیة الشخصیات فی روایة مدن الملح

یواجه المخاطب فی روایة «مدن الملح» نوعین مـن الشخصـیة الرئیسـیة. فـی الرسـم البیانی التالی تقدم هذین النوعین:

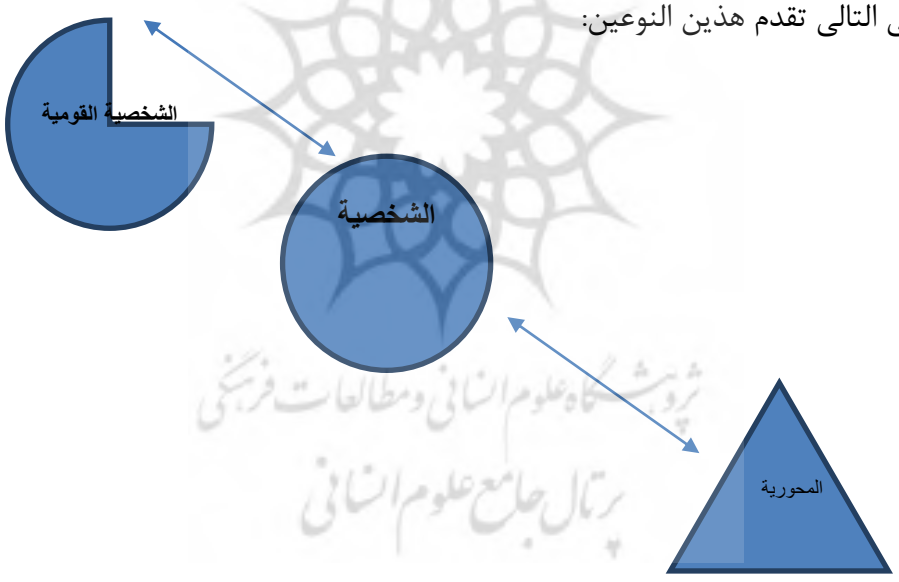

کما یلاحظ تتشکل أکثر بنیة الشخصیة ملامح القومیة والشخصیات المحوریة أیضا مع تمیزها عن الشخصیة القومیة جزء لا یتجزء منـه، وبهـا یتشـکل الصـراع فـی فـی العمـل الروائی بین التیارین القومی والحکومی(الحکومة والأمیرکان). وینحل العقـد بأیـدی هـؤلاء الشخصیات. تشرح المقالة هذین النوعین من الشخصیة بتفصیل فی ما یلی:

بنية الشخصية القومية

المتأمل فی بنية الشخصيات فی رواية «مدن الملح» يرى أنّ هذه الرواية ليست مجالاً لخلق الشخصيات الفردية ومصيرها بل الكتاب يرنو من وراء هذه الشخصيات إلى ترسيم ملامح القوم العربی حيث تكونت الرواية من مشاهد عديدة، وفی كلّ مشهد يتعرف القاری علی الشخصيات المتعددة لا سيّما عندما يروی الكاتب مصير العمال فی شركة النّفط التی أسّست فی البلاد العربية؛ إنّ هذه الشخصيات ليست جوهرية ويكون عددها كبير حيث يصعب علی الناقد تحليلها وفق الأسلوب القصصی المألوف عند النّقاد وهذا لا يعنی أنّ رواية «مدن الملح» خالٍ من الشخصيات الفردية والمحورية وبتعبيرٍ آخر إنّ الشخصيات فی هذه الرواية يمكن أن تكون مؤشرة دالة علی المرحلة الاجتماعية التاريخية التی يعيشها الكاتب، ودالة علی (مرشد، ٢٠٠٥: ٣٣). واقع يرسمه الكاتب فی بداية الرواية بتوصيف ملامح قوم تغيّر شيئاً فشيئاً بدخول الأميركان وهو مدقّ فی ترسيم كل هذه التغييرات التی طرأت علی العالم العربی كما أنّه منصف فی توصيفه دون عصبيّة.

تحاول هذه المقالة ترسيم خطوط أصلية لوجه الشخصية القومية للعرب إذ إن هذه الخطوط والملامح تتشكل شيئا فشيئا فی الرواية بعقدة دخول الأميركان فی المنطقة العربية فينكسر الزمن الروائی إلی طورين: زمن قبل دخول الأميركان وزمن بعد حضوره فی المنطقة:

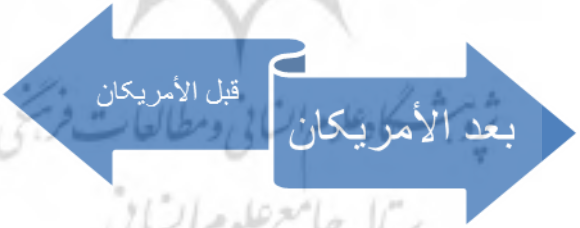

خط الزمن الروائی

الملامح القومية للعرب قبل دخول الأميركان

يحتل الوصف مكانا عظيما فی رواية *عبدالرحمن منيف* لا سيما عندما يواجه المخاطب الملامح القومية للعرب قبل دخول الأمريكان، فإنها خليط من صدق فی وعفوية تروی بلسان فكه لا يمزجه الغلو والعصبية. إضافة إلی هذا يتناول *عبدالرحمن منيف* أسباب

تدخل الأميركان فی الشوون الداخلية للعرب ويرسم بهذه الأسباب ملامح العرب. إليک أهم ما يتميز به العرب قبل دخول الأمريكان.

أ.الجهل القومی

إنّ الجهل أهم سمات العرب فی هذه الحقبة التاريخية، العامل الرئيس الذی أدیّ إلی سلطة الأميركان علی العرب، جهل واسع شائع يشتمل علی کل جوانب حياتهم. يصوّره الکاتب فی شيوع الخرافات من لسان قول الراوی «متعب الهزال» هو الشخصية المحورية عندما يصف مشهداً تمرض زوجته(وضحة):

«بعد ذلک بشهور قالت العجائز أن جنيّاً أسود دخل إلی جسد وفتحه، بين المعدة وأعلی الصدر، دخل مع ماء روضة المشتی، فاذا جاء الشتاء القوافل وانقضی فلابدّ أن يخرج ...»(عبدالرحمن منيف، ۲۰۰۸: ۱۲۷).

نری الفکاهية فی تعبير منيف عن الجهل والخرافة فی الناس فی الفقرة السابقة باستخدام الإطناب فی ذکر «بين المعدة وأعلی الصدر». وأيضا بدقة الوصف ينجذب المخاطب ويضحکه، يصف أيضا جهلهم الناجم عن بعدهم عن التکنولوجيا. وفی مکانٍ آخر يستغربون عندما يرون الشاحنات والرجال يسوقونها، استغراب ممزوج بالخرافة:

«أين کان هؤلاء الرجال، کيف استطاعوا الدخول إلی هذه الآلات والخروج منها ويظل سالماً؟ وماذا تفعل وکيف تتصرف وهل تأکل مثل الحيوانات أم لا تأکل أبداً؟»(السابق: ۹۸).

من الملاحظ أنّ العرب لا يميّز بين الشّاحنة والحيوانات، فلا غرو أن يصبح هذا القوم بهذه الصفة فريسة للإستثمار الأميرکی کما يلاحظ هذا الأمر فی کل البلاد المستثمرة وأن هذا القوم لا يمکنه استخراج النفط من باطن الأرض دون مساعدة الأميرکان.

ب.الضعف السياسی

العامل الثانی فی تسلط الأميرکان علی العرب هو ضعف الحکومة المرکزية حيث يستغرب الناس عندما تعيّن لمدينتهم «حران» أميراً:

«فحران الذی عاشت سنین طویلة لم تعرف أمیراً ولا تحتاج إلی أمیر، والتی رأت غافل السوید نصف النائم خلال الفترة القصیرة التی یقصها فی حران، لا تتصور أنها قادرة علی احتمال الأمیر. ماذا یرید و ماذا تضیع فی حران؟»(السابق: ۲۵۷).

لیست النظم السیاسیة للعرب- کما یروی الکاتب- قائمة علی أصول محکمة. فعلی سبیل المثال «غافل السوید» الذی کان الأمیر السابق علی منطقة حران کان رجلاً نصف النائم وهذا الأمر مهّد أرضیة ملائمة لتدخل الأمیرکان فی شئون البلاد العربیة والعجیب أن الحکومة تصبح قویة فی تعیین الأمراء منذ زمن دخل الأمیرکان فی البلاد العربیة.

ج.الفقر القومی

إنّ الفقر عامل أساسی فی إغراء اهل العرب فی قبول الأمیرکان إذ یعدهم «ابن الراشد» ممثل الأمیرکان بوعودٍ یغری العرب إلی قبول ظروف الحیاة الجدیدة:

«والناس فی وادی العیون، أیضاً، فقراء، لکنهم یبدون الرضا عن الحیاة التی یعیشونها، وقد یسرفون بعض الأحیان إلی درجة المبالغة. ومع ذلک فإنّهم فی أوقات معینة یبدون السخط لأنّ التمر الجاف واللبن، وهزا الخبز القاسی الذی یضطرون لأکله أیاماً متوالیة، یجعلهم فی حالة من العصبیة نظراً للآلام التی تتولد فی امعائهم، حتی إن الرجل إذا الأم من مکانه أصابه الدوار وسقط والأطفال الذین تظهر علیهم آثار ذلک من النحول والصفرة وبعض الأحیان من القیء والإسهال اللذین یتوالیان فی أیام الصیف بأوقات متقاربة» (السابق: ۱۴).

إنّ نظرة *عبدالرحمن منیف* لا تنحصر علی الصفات السلبیة للعرب بل هو یصف العرب کما هم فی الواقع، من السمات الإیجابیة للعرب ترفّع النفس و الکرم و الوداعة و الرضا و حفظ الأمانة:

«لذلک ینظرون إلی الأشیاء والمال نظرة فیها ذلک الترفع، وبعض الأحیان فیها التهتار لأنهم علی ثقة أن الحیاة مهما قست علیهم لا یمکن أن نظحنهم وهذا یدفعهم فی حالات کثیرة إلی نوع من السلوک فیه فظاظة

وشیء من الخشونه لکنهم إذا وثقوا إذا أحبوا، أعطوا کل شیء دون ترود، ورضوا بأی شیء دون شعور بالمرارة»(السابق: ۱۴).

یبدو أن *عبدالرحمن منیف* فی وصف السمات الإیجابیة للعرب یتأثر بالأشعار الجاهلیة وأمجاد العرب لکنه لایزال یراعی جانب الإنصاف ولا یعدل عن جادّة الصواب فی وصفه هذا.

إن الروایة تشتمل علی السمات الأخری للعرب وهی سذاجة العیش، الذکاء، عدم تعدّد الجنسیة فی البلاد العربیة وشدة التصاق العرب بعشیرته، کلّ هذه السمات تتغیّر شیئاً فشیئاً بدخول الأمیرکان حیث یری القارئ فی نهایة الأمر قوماً لا یشبه بالذی شرح المقال سابقاً:

الملامح القومیة للعرب بعد دخول الأمیرکان

تتغیّر معاش العرب بدخول الأمیرکان وتأسیس شرکة النفط فی مدن الملح لکن احتمال العمل الشاق والحیاة القاسیة أصعب بأضعاف من الفقر الذی انتج عن الحیاة البدویة.

یصوّر الکاتب ألوان الأحاسیس الجدیدة التی دخلت فی قلوب العرب بدخول الأمیرکان، أحاسیس کالحقد، الحیرة، القلق، عدم الأمن والخوف أحاسیس تودّی إلی عدم الرضا والتیه، یشعر القارئ فی وصف کلّ هذه الأحاسیس حقداً دفیناً فی قلب الکاتب حیث یسّمی الأمیرکان أولاد الحرام، ابلیساً:

«ما عساهم یریدون(الأمیرکان)؟ وأنتم ... قلتم شیء سولفتم معهم؟ أولاد الحرام کلّ واحد منهم ابلیس»(السابق: ۳۰۹).

ربما أهمّ تغییر طرأ علی البلاد العربیة فی هذه الحقبة، التحدّی بین العرب والأمیرکان تحدٍّ یؤدی فی نهایة المطاف إلی تفضیل الأمیرکان علی العرب حیث یستولی الأمیرکان علی کلّ شؤون العرب ویبحثون بدقة وجهد واسع فی معرفة العرب وأخبارهم وأنسابهم:

«کأنهم(العرب) مدفوعون بقوة خفیة لتحدّی بیت الإمارة وبیت الأمیر من ناحیة ویکی یثبتو الأمیرکان أنهم قادرون عمل شیء لا یقل عن أعمالهم وبیوتهم من ناحیة أخری»(السابق: ۳۱۷).

إنّ هذا التحدّی لا ينحصر على الناس بل يتجاوز إلى الأمراء ومصدره هو عدم الثقة فی وجود العرب وهم يشعرون بالضعة والهوان. على سبيل المثال يروی الكاتب أن أمير العرب يجعل الأميركان قدوةً يحتذی بها عند ما يريد أن يبنی قصره:

«أنا أظل وراءهم(البناؤون)، ألاحقهم(البناؤون فی الليل والنهار وأقول لهم (البناؤون) لازم بيت الأمير يكون مثل بيوت الأميركان: الشبابيک، الأبواب، كل حاجة، نعم كلّ حاجة لازم تكون مثل الأميركان»(السابق: ۳۳۶).

كما مرّ سابقاً إنّ الحكومة العربية أصبحت تقوی منذ زمن دخول الأميركان ولا غرو فی هذا الأمر لأنّ الأميركان يحتاج إلى حكومة مسيطرة على الناس لكبت أفواههم، حكومة طواع لأوامره:

«الجبن الحكومة فوق الجميع. الحكومة لا تخاف من أحدٍ. وهی اللی ترجع الحق لأصحابه، لكن أنتم البدو ما تتعلمون إلا بالدوس»(السابق: ۳۲۳).

إنّ رؤية الكاتب رؤية شاملة فی قضايا الاستعمار ويشتمل على كل نواحيه حيث يتطرق الكاتب إلى قضية الغزو الثقافی بجانب السياسة والاقتصاد قضية تظهر جليّا عندما تدخل النساء الامريكی مدن الملح ويدخل معهنّ كلّ ما يدخل:

«بعد أن توقفت الباخرة تنقل الذين كانوا على ظهرها. نقلت المراكب عشرات الناس، مئات الناس، وكانت مع الرجال أعداد كبيرة من النسوة. كانت النسوة طريات لامعات باسمات، أو كالخيول بعد شوط طويل من الركض. كل واحدة مغسولة قوية مستعدة وكأنها خارجة لتوها من حمان ساخن سامخة ظاهرة. كانت الأجساد لا تسترها إلا قطع صغيرة من أقمشة ملونة، أقوی من الصخر. الوجود والأيدی والصدور والبطون، كل شیء نعم كل شیء كان يشتعل، يرقص، يطير، ... يجعل أحد الرجال امرأة واثنتين على ظهره وصدره أو أن تجلس أمرأة فی حضن أحد الرجال... أما التعليقات قد بلغت الذرورة مع وصول المركب الأخير قادماً من الباخرة. كان فی المركب رجل واحد وسبع نساء. كان الرجل فی وسط المركب بلحتية الكثيفة وصدره المليء بالشعر والنساء السبع حوله ...»(السابق: ۲۰۵-۲۰۶).

ماذا عسی أن یکون ردّ فعل العرب تجاه هذا المنظر: الصمت والحیرة بلا شک والألم الذی یصفها الکاتب ببراعة.

«صحیح أنهم کانوا أمیل إلی الصمت ولم تصدر عینهم تعلیقات کثیرة، ألا أنهم شعرو النبوغ من الدوار، وأحس أکثرهم بالآلام حادّة تمزق أجزاء معینة من أجسامهم، بل وصل الأمر ببعضهم أن صدرت منهم أصوات حادة تعبیراً عن هذا الألم وتمنّی آخرون لو أنهم لم یأتوا ولم یشاهدوا هذا الذی تجری أمامهم»(السابق: ۲۰۶).

الراوی صادق فی کلّ ما یروی لا سیما عندما یحکم بین العرب والأمیرکان و فی مثل هذه المشاهد لا یتکلم عن العصبیة بل یروی الوقائع کما هی. والصمت کما أشار الکاتب أول ردّ فعل للعرب ثم یساورهم القلق تجاه مسألة دخول النساء ویتساءلون أتلبیة الثقافة الأمیرکیه بکل ألوانها و لذاتها لصالحهم أو یترکوها و هکذا یبقون والهون برهة لیتأملوا.

إنّ أوصاف الکاتب عن العرب کثیرة ویتجاوز عن هذا المقال؛ علی سبیل المثال أشار الراوی إلی السمات التالیة فی روایة التیه: تعرف العرب علی التکنولوجیا الحدیثة؛ تنوع القومی؛ توسع المدن؛ تبدیل مدن العرب إلی المراکز التجاریة ومیلهم إلی التّرف.

یظهر الراوی فی کلّ هذه الروایة واصفاً ولا قاضیاً یحکم علی قضیة النفط وهذا هو رسالة الکاتب ومهمته إظهار الحقیقة ووصفه أمام أعین القارئ والحکم للقارئ. من العسیر علی القارئ تخطیط حدود بین الشخصیة المحوریة وملامحها والملامح القومیة للعرب ذلک أنّ هذه الشخصیات المحوریة والقومیة تارة تماشی البعض وتارة تخالفه وقولنا هذا یختلف کل الاختلاف مع آراء النقاد القصصی الذین یرون أنّ «أن الشخصیة المحوریة هی التی محور وأساس ویخلق الراوی الشخصیات الجانبیة لأجل إظهار شخصیته أکثر فأکثر»(مک کی، ۱۳۸۹: ۲۴۸).

الشخصیة الفردیة(المحوریة)

هذه المقالة تعالج تعریف الشخصیة والشخصیة المحوریة وأسس خلقها وطرقها وذلک قبل الولوج إلی سمات الشخصیة المحوریة:

تتعدّد التعاریف عن الشخصیة التی یخلقها الراوی، ویقول *ابراهیم یونسی* أحد النقاد القصصی أنّ خلق الشخصیة المحوریة یشتمل علی الفوائد التالیة:

۱- يهتم الراوی فی خلق الشخصية إلى جميع ملامح الشخصية جسمياً كانت أو خلقياً. وهذه الصفات تنشأ إما من الوارثة وإمّا من البيئة الاجتماعية.

۲- المهم فی عملية خلق الشخصية إنشاءها حيث تتميّز بصفاتها عن الشخصيات الأخرى.

تتكوّن عملية خلق الشخصية فی العمل الأدبی من ثلاثة الطرق: الحوار، الحدث، الوصف(يونسی، ۱۳۵۱: ۲۶۵).

يبدو أن رواية «مدن الملح» تحتظی بشروط خلق الشخصية إلّا أنها تتكل اتكالاً شديداً على الوصف ويترک الجوانب الأخرى وهذا هو الأمر الذی ينزع الرواية عن حياة الواقع لأن الحياة مزيج من الوصف والحوار والحدث دون أن يروی حكايتها راوٍ عليم بكل شیء.

أما الشخصية المحورية فـ«يقصد بها تلک الشخصية التی يتحرک بها ومنها الكاتب لتحقيق غايته من العمل الأدبی روائياً كان أو حوارياً»(عبدالخالق، ۲۰۱۰: ۶۰). من المستحسن الإشارة هنا أنّ الروايات تختلف فی كيفية إظهار ملامح الشخصية وجوانبها وتابعة لأسلوب المؤلف فی عمله الأدبی، فإذا كان العمل واقعيّاً يحب أن تظهر الشخصية واقعيّاً وإذا كان رمزياً يجب أن تتابع الشخصية هذا المذهب فی سماتها.

رواية «مدن الملح» عمل واقعی بيد أن خلق الشخصية مزيج من الأسلوب الرمزی والواقعی كما يقول *إلياس نصرالله*: «إنّ النص الروائی فی مراحل متعددة من الخماسية التاريخية أو الاجتماعی الذی تناوله *منيف* وبشفافية متناهية لدی استبدال أسماء الشخصيات للرواية والأماكن بالأسماء الحقيقية من بذلک بتاتاً...»(نصرالله: ۶۷).

وهل كلّ واقع يجدر أن يكون موضوعاً للرواية وما هی رسالة الكاتب أمام هذه الواقعية كيف يصورّها؟ مطابقاً للواقع أم مغايراً له؟ يقول *وليمز* عن الواقعية والرواية المعاصرة. إنّ الواقعية التی تتناولها الرواية يحب أن يكون جديدة من أجل محافظة على الإبداع(وليمز، لا تا: ۲۸۹) وبعبارة موجزة إنّ *عبدالرحمن منيف* يرسم صورة مِن الواقع تتعدّی حدودها الرمز المحدود لمدن الملح التی ساهمت أمريكا فی تشييدها على أرض الواقع مساهمة كبيرة لنا حيث لا يمكن للعرب أن يتصوره من الواقع الذی يعيش فيه(شاهين، ۲۰۰۱: ۱۵۷). من الجدير أن تقوم المقالة على بسط الشخصيات المحورية وسماتها لكی يتبيّن الأمر أكثر فأكثر.

أ.متعب الهذال

إنّ شخصية متعب الهزال شخصية جمعت فی باطنها کل خصل الرجل العربی، رجلٌ رغم جهله وسذاجة نفسه وعیشه یعرف الحق عن الباطل. إنه شخصية أسطورية وله کثیر من سمات أبطال الملاحم الکبیرة کما یقول *جبرا ابراهیم جبرا*: «فی الروایة نفس ملحمی لا أعرف مثله فی أی روائی»(عبدالرحمن منیف، ۲۰۰۸: ۱). إلیکم بعض سماته:

۱.الحب

جبلت نفس هذا البطل بحبّه لوطنه العربی:

«بین متعب الهزال ووادی العیون علاقة خاصة، عشق من نوع لا یتکرر کثیراً»(عبدالرحمن منیف، ۲۰۰۸: ۸).

والحب لأولاده لأجل اعتقاده بأن الإنسان لا یموت مادام نسل منه یولد:

«... حتی القمر والنجوم بدت له مختلفة عن أیام کثیرة سالفة»(السابق: ۲۲)

قاله عند میلاد ولده، شأنه فی هذا الأمر شأن العرب أکثره.

۲.قوة النفس

إنه شخصية قویة لا یخاف ولا یحابی:

«متعب الهذال لا یکذب لأنه لا یعرف الخوف»(السابق: ۹۴).

إنّه مترفع النفس یأبی أن یراه أحد فی حالة الصغف:

«قالت عیناه(متعب الهزال): باطن الأرض خیر من ظاهرها ولا أرید تری ضعیفی أن ترانی هکذا»(السابق: ۷۷).

۳.حدّة ذکائه

إنّ حدّة ذکائه یؤدّی إلی تشاؤمه بالنسبة إلی الأجانب الأمریکیین:

«إنهم شیاطین لا یمکن لأحد أن یثق بهم إنهم الجن من الیهود ویحفظون القرآن أولاد الحرام... عجایب»(السابق: ۳۴).

لا یمکننا التعرف علی هذه الشخصية إلّا بعد قراءة خماسية «مدن الملح» کلّها لأنّ بعد تقطین الأمیرکان فی البلاد العربیة وتأسیس شرکة النفط فی بلاد حرّان یغیب متعب الهزال بشکل غریب وهذا هو دافع بإغراء القارئ علی مواصلة قراءة خماسیة «مدن الملح». إنّ الأبطال فی الروایات التقلیدیة ذات شخصیة شریفة متعالیة یفضّل الخیر علی الشرّ

لكنه فی الروايات الحديثة هولاء الأبطال ليست شخصيات ينسج الراوی حولهم هالة من القدسية بل انسان عادی ذو ملامح انسانية(راجع: آر بلكر، آروين، ١٣٨٩: ٣٢).

وإنّ متعب الهذال شخصية تشبه أبطال الروايات الجديدة من حيث معارضته المجتمع و تشبه الروايات التقليدية والأسطورية من حيث ملامحه القدسية. يصف الراوی ملامحه عند ما يظهر تارة ويغيب تارة ويخيم إثره الخوف على الأميركان.

«ظلّ متعب الهزال شبحاً ويحضر طوال فترة مذخط الأنانيب، والأميركان الذين لجأوا إلى أساليب لا حدود بها من أجل انجارُ هذا المشروع كانوا بين الشدّة والأغراء، ...»(عبدالرحمن منيف، ٢٠٠٨: ٤٧٩).

«... قدروا فی البداية وإنّ شيئاً غير عادّی لا بد أن يحصل الليلة» (السابق: ٤٨٠).

إن الشخصية المحورية شديدة الالتصاق بالملامح القوميّة للعرب إذن يشبه قومه فی كثير من سماته ويختلف عنه فی رفضه الظلم ومحاربته.

ب.ابن الراشد

إنّه شخصية يعارض شخصية متعب الهزال لأنّه ممثل الحكومة والأميركان. يراه القارئ الشخص الحادّ الذی ذات نفس معقدة على خلاف ما يُرى فی متعب الهزال، إنه يعرف موضع الحلم عن الغضب وموضع الكرم عن البخل:

«ابن الراشد الذی بدا شخصياً مختلفاً منذ أن وصل هؤلاء الأجانب، وبالغ بالكرم والعناية وإظهار هذا الكرم وهذه الغيلة. هو الذی جاء بهم إلى هذا المكان وسلمهم كالغنم إلى هؤلاء كانوا حاقدين عليه يعتبرونه مسئولاً ليس عن خوت غربان(اسم احد العاملين وانما عن قتله»(السابق: ٥٠). إنّه يشتدّ العداوة مع متعب الهزال لكنه فی عداوة هذه يعامل أيضاً محتالاً ولا ينتقم بسرعة:

«هل جاءت فرصته الآن يكی ينتقم من متعب الهزال وذريته كلها»(السابق: ١٦٨).

إن شخصية ابن الراشد أيضاً لا يختلف عن شخصية متعب الهزال فی شدة التصاقه بملامحه القومية غير أنه يحاول أن ينتفع من الظروف مهما تعقب من الآثار السيئة.

دلالة الأسماء وتوظيف الرمز

إنّ الأسماء ذات دلالات تساعد الكاتب فی خلق شخصياته فيستخدمه كل كاتب فی وصول إلى غايته، لقد ألقى أحمد مرشد فی كتابه البنية والدلالة كلّ هذه الطرق وهی على ستة أنواع(أحمد، ۲۰۰۵: ۳۶-۳۸):

علم مجرد	اللقب	الكنية	الصفة المفردة الصفة الجنسية	الصفة المركبة	الضمير
علم أجنبی	اللقب المقرون بالمهنة		سيدات فثيات سادات	المرأة الفلاحة	المستغنی عن ما يرجع إليه
علم عربی	اللقب المجتمعی الحاج- الشيخ بيک		المسيحية	ذات العينين السوداوتين	لا يستغنی عن ما يرجع إليه
	اللقب منسوب بالمكان شيرازی		المهنة سيد البلاد سيد القرية		

أما بالنسبة إلى الأسماء فی روايات مدن الملح؛ هناک عدد هائل من الأسماء فی رواية مدن الملح، ربما الكاتب يرنو من وراء هذا العدد الهائل من الأسماء أظهار كثرة العرب وقدرته أو يدلّ القارئ بجانب هذا إلى أن هدف الرواية ترسيم قومية العرب. إنّ هذه المقالة تركزّ على أسماء الشخصيات المحورية بيد أنّ أسماء كل الشخصيات لها تأثيرها فی الرواية: إن اسمين «ابن الراشد» و «متعب الهذال» إذا اقترن بعضه ببعض فيظهر التضاد والعداوة بين هاتين الشخصيتين بوضوح إذ انها مضادّ ان فی اللغة بيد أنّ كلمة ابن يقوىّ سمة القوة والشباب فيه لأنه إذا يبدل بكلمة الأب يظنّ القارئ أنه أكثر سناً وأقل قوة.

وكلمة الراشد يظهر تقدّم الشخصية فی جمع الثروة والمقام طيلة الرواية غير أن كلمة متعب إضافة إلى الهذال يرشدنا إلى أمر خطير يثقل على كاهل بطل الرواية حيث يصبح إثره مهزوة والهذال أحمد السمات التی يعددها الراوی لقوم العرب قبل دخول الأميركان إذ إن هذه الشخصية لا تريد ترک الماضی، ولا يريد التغيير بدخول الأميركان وفی مقابلها

كلمة الراشد فی ابن الراشد يدلّ على التغيير لأنّ الرشد ملازم لتغيير ويشير هـذه الكلمـة أنه يريد التغيير فی عيشه بقبول الأميركان.

يحتل الوصف فی روايات *عبدالرحمن منيف* مكانـة واسـعة وهـو مـن إحـدى العناصـر الأساسية فی تكوين بناء الرواية ولها وظائف كثيرة منها:

۱- إنّه يسهم فی خلق الفضاء الروائی و«مفهوم القضاء يثير فی الرواية مجموعـة مـن التصورات النظرية التی توسعة أحياناً ليشمل البناء الروائی لكل واحدٍ ويجعل آثاراً الكاتـب مميزاً من بين الكاتب»(راجع. مسعودی، ۱۹۹۹: ۷۶).

۲- إنه وسيلة لتصوير الأمكنة فی ذهن القارئ ويقدّم المكان الروائی بوساطة الوصـف فی الغالب الأعم على الكاتب أن يستخدم وصف الأمكنـة أداة يبـدّل هـذه الأمكنـة قضـاءً يحيط بها وينظم حركاتها ويجعلها أكثر عمقاً وايحاءً من دلالاتها الروائی(الفيصـل، ۲۰۰۳: ۷۱).

۳- يعتبر الوصف إحدى الطرقين الأساسيتين فی خلق الشخصية وبه يجذب القـارئ ويتفاعل النص الروائی.

وصف الشخصيات

اختارت المقالة هذه من بين أنواع الوصف نوعين منها:

۱- الوصف البرانی: هو الوصـف الـذی يـنهض بتحديـد الملامـح الخارجيـة المميـزة للشخصية المقدمة؛ ۲- الوصف الجوانی: هو الوصف الذی ينهض على تحديد أهم الملامـح الداخلية التی تميّز الشخصية(مرشد، السابق: ۶۵). المتأمل فی الرواية يـرى كـلا النـوعين فی النص وجلّ التوصيفات مختصة بالوصف الممزوج من كلا النوعين حيث يصـعب علـى القارئ تفكيكهما:

«كان هاجم يبدو شديد التحول، كأنه لم يَذُف نوماً أو أكلاً مـن أيـام، وكـان ذاهلاً ذهولاً كاملاً، حتى لا يكـاد يسـمع الأصـوات حولـه ولا يـرى الوجـوه والعيون التی تنظر إليه وفـی المـرات التـی كـان الرجـل المسـن يريـد أن يخاطبه، أن يقول له شيئاً كان يهزّه، يمسكه من يده عند الساعد ويهزّه هزّاً قوّياً. فينفض كأنه يستعبد نفسه من مكان قصی أو يتسيقظ من نوم عميـق فيتطلع إلى الرجل بعيون شديدة الحزن وكأنها عيون حيوان جـريح، فتـرت

أجفانه عدة مرات مع حركة عصبية من الرأس حتى إذا تأكدّ الرجل من انتباهه سأله بصورت عال:

هاجم ... تسمعينى يا هاجم؟ فإذا هزّ رأسه بالإيجاب تابع «قل لى، يا وليدى، تأكل؟ تشرب؟ ما جعت؟ وعطش ما عطشت؟» فيحرّک هاجم يديه ورأسه دلالة أنه لا يعرف»(منيف، ۲۰۰۸: ۳۱۹).

من العسير تحديد حدّ للوصف البرانى والجوانى كأنها امتزج امتزاجاً: جملات منقطعة وموجزة «قل لى، يا وليدى، تأكل؟ تشرب؟ ما جعت؟ وعطش ما عطشت؟» ينتقل الاضطراب والقلق والحالة العصبية من الرجل المسن الذى يواجه «هاجم» بسهولة والجملات الطولية تظهر بطء حركات الهاجم المذهول لا سيما عند ما يزوّده الراوى بالتوصيفات الدقيقة: «فيحرّک هاجم يديه ورأسه دلالة أنه لا يعرف» وكثيراً ما يستخدم الكاتب الوصف النفسانى ببراعة، أنظر كيف ما يصنف حالات العمّال الذين اتعبتهم الحياة القاسية:

«عند العصر، حين عاد العمال إلى العسكر كان عدد الذين حرت مقابلتهم خمسة عشر، أما الآخرون فقد أحلوا إلى وقت آخر لم يحدّد. وبرغم أنّ الكثيرين صمتوا فى البداية، فلم يتكلموا ولم يسألوا أو يسألوا فإنّ الحالة من الاضطراب الأقرب إلى الهياج سيطرت على المعسكر كلّه كان الدوى الداخلى يدفع الكثيرين لأن ينصرفوا بخشونة لأن يصرفوا دون سيب واضح، ولم يتردد «بعضهم فى أن يذهب إلى النوم مباشرة رغم أنهم لم يتعودوا النوم فى مثل هذا الوقت»(السابق: ۳۰۶).

إن كلمات الاضطراب، الهياج، الدوى الداخلى، خشونة يصرخوا، النوم تشير إلى الحالات النفسانية للعمال دون أن يتدخل فى هذا الإنسان الوصف الظاهرى منهم. إن أكثر ما يتلقى القارئ وعن النص وصف نفسانى أو الوصف الجسمانى ممزوج بالنفسانى ومن الصعب العثور على وصف يتحلى عن الحالات النفسانية ويختص بالوصف الجسمانى أو البرانى.

«أما فى الصباح فإنهم(الأميركان) فيصلّون بطريقة عجيبة. إذ يبدأون يرفع أيديهم وأرجلهم فى الهواء، ويحرّكون أجسامهم كلها ذات اليمين وذات اليسار ولا يتوقفون إلّا بعد أن يرفهم العرق ويبدأون بالهاث»(السابق: ۴۷).

إنه يصف الأميركان فی حالة الرياضة وقت الصباح لكنّ اليدوی يغترب هذا التصرف وهو وصف صادق مع أنه جسمانی تدلّ علی سمة سزاجة النفس والجهل و هما من السمات النفسانية.

نتيجة البحث

توصّلنا خلال بحثنا إلی الاستنتاجات والملاحظات التالية:

هناک فی رواية مدن الملح(التيه) نوعان من الشخصية: ۱.الشخصيات المحورية ۲.الشخصيات القومية وهذا أمر يميز هذه الرواية لأن الكاتب يستهدف بجانب خلق الشخصيات الفردية ترسيم الملامح القومية للعرب قبل وبعد دخول الأميركان، وهی أخطر حصة فی تاريخ العرب. لهذا يری القارئ أن فی الرواية هناک انكسار فی الزمن الروائی وأن كلّ الشخصيات فی هذه الرواية تواجه مصيراً واحداً وهو التيه وفی هذا الزمن يخلق الكاتب الشخصيات المحورية مثل متعب الهذال الذی يقف أمام وجه الأميركان وممثلهم ابن الراشد فی المنطقة. إضافة إلی هذا هناک عدد هائل من الأسماء فی الرواية تستخدم فی الرواية لتكوين ملامح الشخصيات لاسيما الشخصية ابن الراشد الذی يدلّ اسمه علی تقدمه وقوته ومتعب الهذال الذی يدلّ اسمه علی تعبه أثر محاربته الأميركان وحمل عبء أرهق كاهله. إن الميزة الأصلية لرواية خماسية مدن الملح(التيه) هی الوصف الذی فی هذه الرواية يظهر فی إطار يشتمل علی الوصف البرانی(الخارجی) والوصف الجوانی (الداخلی). والوصف الجوانی أقوی وأهم فی رواية مدن الملح لأن التوصيف يتجاوز فی الرواية عن النطاق الشخصی ويشتمل علی المواصفات القومية.

پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

أحمد، مرشد. ۲۰۰۵م، **البنیة والدلالة**، د.ط، بیروت- عمان: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر والمرکز الرئیسی، دار الفارس للنشر والتوزیع.

بلکر، اروین آر. ۱۳۸۹ش، **عناصر فیلمنامه نویسی**، ترجمه محمد گذرآبادی، تهران: انتشارات هرمس.

بیریام، الیوت. ۱۳۶۸ش، **رمان به روایت رمان نویسان**، ترجمه علی محمد حق شناس، چاپ اول، تهران: بی نا.

شاهین، محمد. ۲۰۰۱م، **آفاق الروایة؛ البنیة والمؤثرات**، د.ط، دمشق: اتحاد کتاب العرب.

عبدالخالق، نادر. ۲۰۱۰م، **الروایة الجدیدة بحوث ودراسات تطبیقیة**، ط۱، کفر الشیخ: العلم والإیمان للنشر.

الفیصل، سمر روحی. ۲۰۰۳م، **الروایة العربیة البناء والرؤیا**، د.ط، دمشق: اتحاد کتاب العرب.

مک کی، رابرت. ۱۳۸۹ش، **داستان، ساختار، سبک و اصول فیلمنامه نویسی**، ترجمه محمد گرد آبادی، تهران: نشر هرمس.

منیف، عبدالرحمن. ۲۰۰۸م، **مدن الملح(التیه)**، لا مک: المؤسسة العربیة للدراسات وللنشر.

النابلسی، شاکر. ۱۹۹۲م، **مباهج الحریة فی الروایة العربیة**، ط۱، بیروت- الأردن: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزیع.

نصرالله، الیاس. ۲۰۱۰م، **السعودیة وبدعة التاریخ البدیل**، دمشق: دار المدی للنشر.

یونسی، ابراهیم. ۱۳۵۱ش، **هنر داستان نویسی**، چاپ دوم، تهران: امیرکبیر.

المقالات و الرسالات

آیت اللهی، سید حبیب الله و دیگران. ۱۳۸۶ش، «**تحلیل عناصر داستانی قصه حضرت یوسف در قرآن کریم**»، مجله پژوهش زبان و ادبیات فارسی، ش۸.

رضوانیان، قدسیه و علیرضا پورشبانان. ۱۳۸۹ش، «**نمایش شخصیت‌ها و شخصیت‌های نمایشی در تاریخ بیهقی**»، فصلنامه پژوهش‌های زبان و ادبیات تطبیقی، ش۲.

سعودی، آمال. ۲۰۰۹م، «**السرد والبناء فی روایة ذاکرة الماء لواسینی الأعرج**»، مذکرة لنیل شهادة الماجیستر، جامعه محمد بوصنیاف، مسیة.

Bibliography

Ahmed, Morshed (2005), Structure and significance,unprinted, Beirut, omman; Arab Institution for Studies and Publishing and the Main Center, Darol Fares Publishing and Distribution.

Ayatollahi, Seyyed Habibollah and others (2007) "Analysis of the story elements of Yousef's story in the Holy Quran". Journal of Farsi Language and Literature. Number. 8.

Balker, Erwin R., Screenwriting Elements (2010), Translator: Mohammad Gozararabadi, Tehran: Hermes Publications.

Rezvanian, Ghedsieh, and Ali Reza Porshabanan (2010) "Show the characters and characters in the history of Baygahi" Quarterly research on Comparative language and Literature. Number 2

Shahin, Muhammad (2001) The Prospects of Prophetic Narration and Influences »Dr. T, Damascus, The Arab Book Union.

Shahin, Muhammad (2001) The Prospects of Narration «Structure and Influences, No printed, Damascus, Arab Book Union.

Al-Faisal, d. Samarruhi (2003) Arab Thought and Vision, No printed, Damascus, the Arab Book Union .

Abdulkhaliq, Nader (2010) The New Novel, Applied Research and Studies, 1 st, Kafr Al-Sheikh, Al-elm and Al-iman for Publishing.

McKee, Robert (2010), Story, Structure, Style and Principles of Screenwriting, Translator: Mohammad gord Abadi, Tehran: Hermes Publishing.

Muneef, Abdulrahman (2008) The Cities of Salt (attih), Arab Institution for Studies and Publications

Birjam, Elliot (1368), Novel by Novelists, Translator: Ali Mohammad Haghshenas, , 1 st, Tehran.

Nabulsi, Shaker (1992) The Pleasures of Freedom in The Arabic Novel,1 st, Beirut, Jordan, Arab institution for Studies and Publishing, Daroll fares Publishing and Distribution.

Younesi, Ibrahim (1351) Art of Fiction,2st, Tehran: Amir Kabir Publishing House.

Nasrallah, Elias (2010) Saudi Arabia and the innovation of alternative history, Damascus: Daralmada Publishing.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی